النّجاة من العطب في وُجوب الأدب مع سيّد العجم والعرب سيّدِنا ومولانا محمدٍ بنِ عبدِ الله بنِ عبدِ المطلّب صلّى الله عليه وآله وسلَّم صلاة ننال بها كلّ أَرِب

2024-10-11

الحمد لله الذي أطلع للناس في ظُلْمة الضلالة بَدْرَ الهدى. وبَلَّ بغيث الرشاد المحمدي ما لَحِق طِينةَ قلوبِهم مِن صَدَا. ورفع قدْر نبيِّه سيّدِنا ومولانا محمدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تسليما. وأعلى مَقامَه. وبعثه رحمةً للعالمين في الدنيا وعَرَصاتِ القِيامة. وأمر أُمّتَه بتعظيمه. فنبّههم لذلك بالأَمْر بالصلاة عليه. والنّهي عن رَفْع الصوت عنده. والتقديم بين يديه. فقال سبحانه في سورة الحجرات: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَاتَّقُوا اللَّهَ. إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيءِ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ)). نحمده تعالى أن جعلنا من أُمّته. ونشكره أن هدانا لملّته. ونسأله سبحانه أن يرزقنا الأدب معه. والسَّيْر على سنّته. وأن يميتنا على ملّته. وأن يسكننا معه في أعالي جنّته. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. إصطفى سيّدنا ومولانا محمّدا صلّى الله عليه وآله وسلَّم وزيّن به الأكوان، وأعلى قَدْره في كلّ زمان، ورفع ذِكْره في كلّ مكان، وفَرَض محبّتَه وتعظيمَه على بني الإنسان، بل لا يؤمن أحَدٌ حتّى تزيدَ محبّتُه لهذا النّبيّ الأكرم. صلّى الله عليه وآله وسلَّم. عن الوالِد والوِلْدان. فمَنْ اكتَمَل فيه هذا الحبّ نال مِنَ الله الأمان. وأشهد أنّ سيدنا محمدا عبده ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. المبعوث بالهدى ودين الحق. المخصوص من بين سائر الرسل بالرسالة العامّة لكل الخلق. الحائز لكل المفاخر الفاخرة. وهو على الإطلاق سيّد أهل الدنيا وسيّد أهل الآخرة.

يا أمَّة المُصطَفى يا أشرَفَ الأمَمِ * هذا نَبِيُّكُمُ المَخصوص بالكَرَم

هو الرَّءوف الرحيم الطاهر الشِّيَمِ * إن شئتمُ أنْ تَنالوا رِفْعَةً وغِنًى

صلّوا عليه لَعَلَّ اللهَ يَرحَمُنا

اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيّدنا محمد. عينِ الرحمة الربانية. وعلى آله مَطالعِ الكواكب الدرية النُّورانية. وينابيعِ الأسرار الجليلة العِرفانية. وأصحابه أئمّةِ المراتب العلية الفرسانية. صلاةً تُخلِّقنا بأخلاقه النبوية الصمدانية. وتُعيننا بها على القيام بواجب حقوقه المصطفوية الفردانية. وتحفظنا ببركتها في نفوسِنا وأحبّتِنا من كل فتنة ومحنة وبلية. وتحشرنا بفضلها مع أهل ملّته وطائفته السالمة الفائزة الناجية. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. **أمّا بعد:** فيا أحباب رسول الله. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. إنّ مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ العَظِيمَ بِتَدَبُّرٍ وَإِنْصَافٍ، فَإِنَّهُ يَجِدُ مَوْلَانَا عَزَّ وَجَلَّ يَدْعُو جَمِيعَ العُقَلَاءِ مِنْ بَنِي الإِنْسَانِ إلى الأَدَبِ مَعَ سَيِّدِنَا ومولانا رَسُولِ اللهِ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، لِأَنَّهُ عليه الصلاة والسلام هُوَ الرَّحْمَةُ المُهْدَاةُ، وَهُوَ المَثَلُ الأَعْلَى، وَهُوَ الهَادِي البَشِيرُ النَّذِيرُ، وَهُوَ السِّرَاجُ المُنِيرُ، كَيْفَ لَا، وَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ القُدْوَةُ الكَامِلَةُ، وَالأُسْوَةُ الحَسَنَةُ، لِكُلِّ مَنْ يَرْجُو اللهَ واليَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا؟ قال تعالى في سورة الأحزاب: ((لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)). وقد نادانا الله عزّ وجلّ. وذكّرنا في سياق آياته. إلى أهمّية تعظيم وتوقير وتعزير سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ. صلّى الله عليه وسلّم. فقال سبحانه في سورة الأعراف: ((فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)). فالمعظِّم لِسَيِّدَنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في زمرة المفلحين. فاحمدوا الله أيّها الأحباب. على ما ألزمكم به ربّكم من التّأدّب والإحترام. والتّعظيم والإجلال. لهذا النبيّ الكريم. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. والذي هو نُور أبصارنا وبصائرنا. وهو سرّ حياتنا. كما قال تعالى في سورة الأنفال: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ)). بل هو سبب سعادتنا في الدنيا والآخرة. فلولاه لم يكن لنا نُور ولا إيمان. ولولاه لم يكن لنا عقل ولا فهم. ولولاه لَمَا حصّلنا شيئا من أسباب

السعادات الحقيقية. في الدنيا والآخرة. قال تعالى في سورة النور: ((وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا)). وقال أيضا: ((فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)). يا أحباب رسول الله. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. مَا تَخَلَّفَتِ الأُمَّةُ اليَوْمَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَخَلَّفَتْ عَنِ الأَدَبِ مَعَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. وَمَا تَجَرَّعَ أَفْرَادُ الأُمَّةِ مَرَارَةَ حَيَاةِ الشَّقَاءِ وَالضَّنْكِ إِلَّا بَعْدَ أَنِ ابْتَعَدُوا عَنْ سِيرَتِهِ العَطِرَةِ الرَّائِعَةِ، وَعَنْ هَدْيِهِ الشَّرِيفِ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. وَرَكَضُوا خَلْفَ مَنْ أُوتِيَ شَيْئًا مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا، فَجَعَلُوهُ أُسْوَةً وَقُدْوَةً لَهُمْ. كما لا يخفى على أيّ مسلم صادق في إسلامه. تلك المنزلة الرّفيعة التي حباها ربّنا تعالى لصفوة خلقه، وخاتم أنبيائه ورسله. سيّدنا ومولانا محمّد. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. ومَن تمعّن في القرآن الكريم. وجده مليء بما يبيّن مكانةَ هذا النبيّ الكريم. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. وعظيمَ قدره، فمِن تعظيمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما ورد في الذّكر الحكيم. من التّشديد على وجوب الأدب معه. صلوات ربّي وسلامه عليه، وسورة الحجرات تشهد بذلك، وهِيَ سُورَةُ الآدَابِ، حيث افتتحها الحق سبحانه وتعالى بقوله: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)). ونلاحظ هنا أنّ مفعول ((تُقَدِّمُوا)) محذوف. وهو يفيد عموم الفعل، فيشمل كلّ أنواع التّقدّم بين يديه. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. من قول أو فعل، وهَذَا الحُكْمُ بَاقٍ إِلى يَوْمِ القِيَامَةِ، فَالتَّقَدُّمُ بَيْنَ يَدَيْ سُنَّتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ انْتِقَالِهِ إِلى الرَّفِيقِ الأَعْلَى كَالتَّقَدُّمِ بَيْنَ يَدَيْهِ في حَيَاتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. يا أحباب رسول الله. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. ثُمَّ هُنَاكَ أَدَبٌ آخَرُ بعد هذه الآية، علّمنا إيّاه الحق تبارك وتعالى مع نبيّه ومصطفاه. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وحذّرنا من إساءة الأدب معه. فقال جلّ شأنه: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ)). وَهَذَا الأَدَبُ في حَالِ حَيَاتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَفي حَالِ انْتِقَالِهِ إِلى عَالَمِ البَرْزَخِ.

ولنَسْمِعْ أيّها الأحباب إلى قِصَّةِ الإمَامِ مَالِكٍ رضي الله عنه مَعَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، جَاءَ في كِتَابِ الشِّفَا بِتَعْرِيفِ حُقُوقِ المُصْطَفَى. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. للقَاضِي عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللهُ تعالى: فَصْلٌ في تَعْظِيمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَوْتِهِ. بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ. قَالَ رَحِمَهُ اللهُ تعالى: نَاظَرَ أَبُو جَعْفَرٍ المنصور أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ مَالِكًا في مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، لا تَرْفَعْ صَوْتَكَ في هَذَا المَسْجِدِ، فَإِنَّ اللهَ تعالى أَدَّبَ قَوْمًا فَقَالَ: ((لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ)). وَمَدَحَ قَوْمًا فَقَالَ: ((إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ)). وَذَمَّ قَوْمًا فَقَالَ: ((إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)). وَإِنَّ حُرْمَتَهُ مَيْتًا كَحُرْمَتِهِ حَيًّا. فَاسْتَكَانَ لَهَا أَبُو جَعْفَرٍ وَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، أَأَسْتَقْبِلُ القِبْلَةَ وَأَدْعُو، أَمْ أَسْتَقْبِلُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ: وَلِمَ تَصْرِفُ وَجْهَكَ عَنْهُ وَهُوَ وَسِيلَتُكَ وَوَسِيلَةُ أَبِيكَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى اللهِ تعالى يَوْمَ القِيَامَةِ؟ بَلِ اسْتَقْبِلْهُ وَاسْتَشْفِعْ بِهِ فَيُشَفِّعَهُ اللهُ، قَالَ اللهُ تعالى: ((وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا)). يا أحباب رسول الله. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. وإذا تأمّلنا في الآية الكريمة: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ)). نستنبط إشارة مفادها أنّ العمل الصّالح لا ينفع صاحبه مع الإساءة لِسَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأنّ تلك الأعمال مهما كثرت ستصبح هباء منثوراً. مع أدنى إساءة لِسَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. إذًا فهي من أسباب الكفر. ومن أسباب الخروج عن الملّة. وهذا يجعلنا نرجع فنتأمّل، إذا كان رفْع الصّوت والجهر بالقول. وهو أدنى درجات إساءة الأدب. يوجب إحباط الأعمال، وذهاب الإيمان. فكيف بالإساءات الأخرى لِسَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وهي متعدِّدة الأشكال والكيفيّات، من الذين تحلّسوا بحلاس الاسلام. أو لبسوا مسوح الإسلام. ولكنّهم إنسلخوا من حقيقته. فخاضوا مع الخائضين. وعبثوا مع العابثين. فإنّهم ما تركوا شيئا ينتقصون به صاحب الكمالات والآيات والمعجزات صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلاّ أَخذوا به. في الحطّ من شرفه ومنزلته. والغضّ من قدره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. ((أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ)). ((أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ)). أم إنّه الكفر بعد الإيمان. والعمى بعد الهدى. فيَجِبُ عَلَى الأُمَّةِ إِذَا أَرَادَتْ أَنْ يُعِيدَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهَا عِزَّهَا السَّامِيَ الَّذِي ذَهَبَ، أَنْ تَرْجِعَ إلى الأَدَبِ مَعَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَلَا تُقَدِّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَتَلْتَزِمَ قَوْلَ اللهِ تعالى في سورة الأحزاب: ((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا)). وَإِلَّا فَقَدْ عَرَّضَتِ الأُمَّةُ نَفْسَهَا لِلْفِتْنَةِ أَوِ العَذَابِ الأَلِيمِ، قَالَ تعالى في سورة النور: ((فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)). يا أحباب رسول الله. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. إقرؤوا القرآن لتعرفوا نبيّكم. لتتعرّفوا على هذا القدر والمقدار الذي أَولاه الله لِسَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. ففي سورة النّور نجد أنّ الله تبارك وتعالى يعلّم المؤمنين أدباً دقيقاً مع سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهو أن لا يَنهضوا من مقامهم. وأن لا يذهبوا من مجلسهم. حتّى يستأذنوا النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، يقول سبحانه وتعالى: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ)). ونلاحظ هنا أنّ الآية بيّنت أنّ أدب الإستئذان ضروريّ لتحقّق الإيمان، وهذا ما يجعلنا نستنبط أنّ الإيمان لا يجتمع مع إساءة الأدب لِسَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وبعد هذه الآية الكريمة نجد أنّ الله تعالى يَنهى المؤمنين أن يجعلوا دعاءَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ونداءَه مماثلاً لنداء بعضهم بعضاً،

فيقول سبحانه وتعالى: ((لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا)). فلابدّ من تعظيمه حين ندائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فإذا كان الله في عليائه. وجلاله وكبريائه. لم يناد رسوله باسمه مجرّداً عن ألقاب التّعظيم والرّفعة، إنّما كان يناديه بالنبوّة والرسالة. تشريفا وتكريما. فقال: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيءُ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا)). ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّك)). حتّى في مَعْرَض الخطاب لنسائه قال: ((يَا نِسَاءَ النَّبِيءِ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ)). لِمَا له من المكانة العليا. والمنزلة الرفيعة في النبيّين والمرسلين. صلوات الله عليهم أجمعين، فالله تعالى إذا أراد أن ينادي نبيّاً من الأنبياء ناداه باسمه. فقال:((يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ)). ((يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ)). ((يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا)). ((يَا مُوسَى إِنِّيَ أَنَا رَبُّكَ)). ((يَا زَكَرِيَّاءُ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى)). ((يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ)). ((يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ)). ((يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ)). ولم نجد في القرآن ولو مرّة واحدة ناداه ربه: يا محمّد، فلقد حرص القرآن على أن يُفهم المؤمنين أنّ سَيِّدَنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عالي المقدار. رفيع الجناب، وأنّ التّعامل معه ونداءه. والجلوس والحديث معه. يختلف عن حديث المؤمنين فيما بينهم، فالله تعالى يريد منّا أن نتأدّب مع سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم؛ وأن نعظّمه ونوقّره. وأن ننزله في المكانة العظمى التي أنزله الله فيها. فإنّ الأدب معه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سبب السّعادة في الدنيا والآخرة. كما أنّ إساءة الأدب معه مُذهبة للإيمان. مُحبطة للأعمال. أعاذنا الله وإيّاكم من سوء الأدب. وعصمنا وإيّاكم في هذا الجناب النّبويّ أن نكون من المتجرّئين. أو من الذين يتبجّحون ويهرفون بما لا يعرفون. يا أحباب رسول الله. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. مَنْ أَرَادَ الهِدَايَةَ إلى طَرِيقِ الجَنَّةِ، وَالهِدَايَةَ إلى الطَّرِيقِ المُسْتَقِيمِ، وَالهِدَايَةَ إلى مَرْضَاةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَعَلَيْهِ بِالْتِزَامِ قَوْلِهِ تعالى: ((وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا)). وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ،

فَلْيُطِعْ سَيِّدَنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ طَاعَةً مُطْلَقَةً، وَلْيَتَأَدَّبْ مَعَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، قال تعالى في سورة النساء: ((وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)). وممّا لاشكّ فيه أنّ الغرض ممّا ذكره الله تعالى في كتابه العزيز. من إكرام وإجلال وتعظيم لِسَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ إنّما ذلك ليكون دافعاً لنا إلى إدراك عظمة سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. وبيان مكانته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عند الله تعالى؛ ولتكون معرفتنا لتلك المكانة دافعاً يدفعنا إلى تعظيم سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. وتقديره وإحترامه ولزوم الأدب معه؛ لأنّ الواجب على مَن آمن بالله أن يُعظّم مَن عظّمه الله. وأن يُقدّر مَن قدّره الله. حتّى لا يتطرّق إلى أذهاننا ولو من بعيد. أنّ سَيِّدَنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما هو إلاّ بشٌر أدّى رسالة وانتهى، كلاّ والله. بل هو بشر، ولكنّه ليس كسائر البشر، فهو مَن جعله ربّه سيّداً على كلّ البشر، فهو صاحب الموقف المشهود. والمقام المحمود. والشّفاعة العظمى. يوم يَتأَخَّر كلٌّ ذي قدر عظيم من الأنبياء. قائلا: نفسي نفسي. وفي هذا الموقف تَظهر هذه السّيادة القعساء. حيث لا رسول ولا نبيّ ولا مَلك. بل يُعلنها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. صريحة بلسان التّمكين. ولسان الإذن الرّباني: أنا لها. أنا لها.

يا سَيِّدَ الرُّسل الذي آياتُهُ * لا تَنقَضِي أبدًا ولا تتَصَرَّمُ

ماذا يقول المادِحُونَ ومَدحُكُمْ * فَضْلًا به نَطَقَ الكِتاب المحكَمُ

المُعجِزُ الباقي وإنْ طالَ المدى * ولِأَبلَغِ البُلَغاءِ فهو المُفحِمُ

الأمرُ أعظَمُ مِن مقالةِ قائلٍ * إنْ رَقَّقَ البُلَغاءُ أو إنْ فَخَّمُوا

وخُصِصْتَ فَضْلًا بالشَّفاعَةِ في غَدٍ * فالمسلمونَ بِفَضلِها قد عُمِّمُوا

ومَقامُكَ المحمودُ في يَومِ القَضَا * حَيثُ السَّعِيدُ مُنَاه نَفسٌ تَسلَمُ

يَحْبُوكَ رَبُّكَ مِن مَحَامِدِهِ التي * تُعطَى بها ما تَرتَجِيهِ وتَغْنَمُ

ويقول قُل يُسْمَع وسَلْ تُعْطَ المُنَى * واشفَعْ تُشَفَّعْ في العُصَاةِ لِيُرحَمُوا

فهُناك يَغبِطُكَ الوَرَى ويُسَاءُ مَنْ * جَحَدَ النُّبُوَّةَ إذْ يُسَرُّ المسلِمُ

صَلَّى عليكَ وسَلَّمَ اللهُ الذي * أعلاكَ ما لَبَّى الحَجِيجُ وأحرَمُوا

وعلى قَرابَتِك المُقَرَّرِ فَضلُهُمْ * وعلى صَحابَتِكَ الذين هُمُ هُمُ

اللهمّ عرّفنا قدر نبيّنا عليه الصلاة والسلام. حتّى نقوم بما يجب له من التعظيم والإحترام. وارزقنا الأدب معك يا ذا الجلال والإكرام. ومع رسولك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. ومع أهل بيته ومع أصحابه الكرام. بل وأن ترزقنا الأدب مع إخواننا من المسلمين جميعا. فلا ننظر لأحد بعين الغضّ أو الإستهزاء أو الإحتقار. اللهم ألّف بين قلوبنا. ووحّد في مرضاتك بين صفوفنا. وأزل المحن والضّغائن والإحن من بيننا. واجعلنا أمّة واحدة. على قلب رجل واحد. اللهمّ إجعلنا على كلمة سواء. هي كلمة السّلام والوئام والوفاق. وجنّبنا سبيل العوج والخلاف والشّقاق. وأقرّ بذلك عين رسولك صلّى الله عليه وسلّم يوم يقوم الأشهاد. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ